المقدمة

اللهم لكَ الحمد ولكَ الشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على ما انعمته عليَّ من نعم لا تعد ولا تُحصى ، واصلي واسلم على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم.

أما بعد:

إن خير ما فنيت فيه الأعمار إنَّما هو في طلب العلم النافع ونذر الأنفس في سبيل إرضاء الله عز وجل ونفع أُمة الإسلام ، وصل الحبل بالله عز وجل عن طريق القرآن الكريم ومحاولة فهمه وتيسيره على النفس أولاً والمسلمين فيما بعد ، وقد يسره الله لمن طلبه ويصدق هذا قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر : ١٧]. ومن مفاخر الإسلام ، وأكبر معجزة منَّ الله بها على البشرية قاطبةً القرآن الكريم فهو المصدر الأول للتشريع والمنبع الخصب الذي لا ينضب أبداً وهذا أحد أوجه الإعجاز القرآني ومما لاشك فيه أنَّ نصوص القرآن الكريم قد تناولت جميع الأحكام التي يحتاج اليها الفرد المسلم والمجتمع الإنساني في معاشهم ومعادهم وذلك إما بالنص المباشر أو غير المباشر وهذا الذي يستدعي النظر والتأمل للاجتهاد والإستنباط من النصوص .

ولما كانت هذه النصوص على هذه الدرجة من الأهمية فإن العلماء قد بذلوا قصارى جهدهم في إدراك الأحكام الشرعية ، وفهم النصوص وتدبرها ، وذلك نزولاً عند قوله تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] ، ووضعوا الأدوات اللازمة لهذا الفهم ، فكانت هذه القواعد نتاج عمل مضني لعلماء الأمة لضمان سير الأمه على الطريق الصواب وعدم حمل النصوص على غير ما سيقت له أو خروجها عن مُراد الله عز وجل فكانت هذه القواعد بمجموعها تشكل علم اصول الفقه الذي

يعتبر من الضوابط لعلوم اخرى وعلى هذا النهج كانت مسيرة علم اصول التفسير .

أسباب البحث:

تستعمل دلالة السياق تارة في بيان معنى النص ، وتارة اخرى في صرف النص عن ظاهره ، أو الإحالة عليها لحسم النزاع في الامور المحتملة ، أو الترجيح بين الآراء ، وغير ذلك ، دون أن يعطوا مفهوم محدد وواضح بين ماهية هذه الدلالة أو القرينة –كما يسميها البعض – ومدى تأثيرها على النصوص ، لهذا حاولت في بحثي هذا تسليط الضوء على دلاله السياق والتعامل معها بطريقة مختلفة عن الطرق المتبعة في التعامل مع باقي الدلالات الاخرى وذلك للخصوصية التي تتسم بها هذه الدلالة وانتقالها بين مصطلح الدلالة ، والقرينة حسب الاستعمال، والتركيز على تناول دلالة السياق كموقف سياقي أحد أدواته اللغة والمفردة وإنها تمثل مجموع القرائن المقامية و المقالية .

أهمية البحث

- إن شرف العلم بشرف متعلقه ، وهذا البحث يتعلق بكتاب الله عز وجل ، وعلاقته بعلم التفسير .
- الاهتمام بالنظرة السياقية للنص وضبط دلالة السياق والنظر للسياق كموقف تحفه القرائن التي بمجملها تمثل دلالة السياق.
- افراد دلالة السياق بالبحث لها اهمية كبيرة فهي تنمي ملكة الاجتهاد في النوازل وتُعين على الفهم الصحيح للنص والتمييز بين التفاسير المختلفة .

منهجي في البحث:

- اعتمدت فيه أمهات كتب التفسير واصول التفسير وغيرها ، علاوة على بعض كتب المحدثين و بعض الرسائل الجامعية .

- وضعتُ تمهيداً للمبحث الثالث ، تبعاً لما يتطلبهُ الأمر بياناً لذلك المبحث .
- قمت بتوثيق الآيات وبيان موضعها في القرآن ، وذلك بذكر اسم السورة و رقم الآية بعد النص القرآني مباشرةً في متن البحث.
- قمت بتخريج الأحاديث النبوية التي وردت في البحث من كتب الصحاح والسنن .

خطة البحث:

وقد قسمته على ثلاثة مباحث كان الأول بعنوان التعريف بدلالة السياق وحجيتها ، تناولت فيه تعريف الدلالة، والسياق ، والتعريف بدلالة السياق كمركب إضافي . وبيان الادلة على حجية السياق ، وأما المبحث الثاني فأسميته أركان السياق وأنواعه وأقسامه ، وأما المبحث الثالث فكان تحت عنوان قواعد الاستدلال بدلالة السياق ، وتقسيمها إلى قواعد عامة ، وقواعد متعلقة بالترجيح . ثم ختمت البحث بخاتمه .

هذا والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، إنه على ذلك لقدير وبالإجابة لجدير نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

التعريف بدلالة السياق وحجيتها

المطلب الاول : التعريف بدلالة السياق

عند التعرض لأي مفهوم أو فكرة لابد في البداية من تعريفه لبيان المقصود منه ، وسنتناول كل من لفظتي الدلالة والسياق لغة واصطلاحاً ، ثم تعريف دلالة السياق كمركب إضافي .

الدلالة لغةً:

الدلالة : ((الدال واللام اصلان احدهما ابان الشيء بأمارة تتعلمها، والاخر اضطراب في الشيء فالأول قولهم دللت فلاناً على الطريق والدليل : الامارة على الشيء وهو بين الدِلالة والدَلالة ... والاصل الاخر قولهم : تدلل الشيء اذا اضطرب))[١] .

وقيل : ((دله على الشيء يدله دلاً ودلالةً فاندل سدده اليه ، ودللته فاندل ... والدليل ما يُستدل به والدليل الدَّالُ وقد دلهُ على الطريق يدلهُ دَلالةً و دِلالةً))[٢] .

الدلالة اصطلاحاً:

الدلالة : ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء اخر)) [٣].

وقيل: ((دلالة اللفظ بحيث اذا سمع او تخيل لاحظت النفس معناه)) [٤].

---

(١)معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون:٢/٢١١ . د.ط ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: ١١/٢٤٧ . ط.١، دار صادر – بيروت ، د.ت .

(٣) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري: ١/١٣٩ . ط.١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت،١٤٠٥

(٤) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، للاصفهاني ، تحقيق : د. محمد مظهر :١/١٥٤

وعلم الدلالة في العصر الحديث يعبر عنه بأنه ((علم دراسة المعنى او العلم الذي يدرس المعنى او ذاك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى او ذاك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز لكي يكون قادر على حمل المعنى)) [١] .

السياق لغة:

السياق : ((السين والواو والقاف اصل واحد وهو حدو الشيء يقال ساق يسوق سوقاً والسيقة ما استيق من الدواب. ويقال سقت الى امرأتي صداقها ، واسقته . والسوق مشتقةٌ من هذا ، لما يساق اليها من كل شيء والجمع اسواق. والساق للإنسان وغيره ، والجمع سوق وانما سميت بذلك لأن الماشي ينساق اليها))[٢].

وقيل: ((أصل السياق سواق وقلبت الواو ياء لكسرة السين من المجاز هو يسوق الحديث احسن سياق)) [٣].

فالمعنى اللغوي يدل على التتابع والتوالي والاتصال والوصول الى المعنى من الخفاء والنتيجة النهائية التي توضح المعنى فالوصول للمعنى كان من خلال مقدمات وربط للمعلومات بعضها ببعض ليتوصل الى الفهم السليم المرجو ، كما ان كلمة السياق تدل على المعنى المحسوس والمعنى المعنوي فالتتابع هنا يعني عدم الانقطاع ونقيضهُ الاتصال كذلك يشير الى الانسجام في هذا التتابع وهذا التتابع يعني في جملة التوالي في السرد .فيقصد بالسرد التوالي والتتابع .

---

(١) علم الدلالة ، احمد مختار عمر:١١ . ط٥ عالم الكتب القاهرة، ١٩٩٨م

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس :١١٧/٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب مرتضى الزَّبيدي ،تحقيق مجموعة من المحققين:٤٩٣/٢٥ . د.ط، دار الهداية ،د.ت.

السياق اصطلاحاً:

السياق : ((السياق و القرائن فأنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة الى بيان المجملات وتعيين المحتملات)) [١].

وقيل : هو((الغرض الذي سيق لا جله الكلام)) [٢].

وقيل : هو ((ما يحيط بالنص من عوامل داخليه او خارجية لها اثر في فهمه ، من سابق او لاحق به ، او حال من حال المخاطِب ، والمخاطَب ، والغرض الذي سيق له ، والجو الذي نزل فيه))[٣].

اما **دلالة السياق كمركب اضافي** فهي: ((بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة))[٤].

اذن دلالة السياق هي : العلاقة بين المفردة ، وما يسبقها ، وما يلحق بها ، على مستوى اللفظة، والآية ، والقرآن كله ، وصولاً لفهم ، أو ترجيح معنى .

ولابد من الالتفات الى أن السياق ليس نفس الفهم أو المعنى ، وإنما هو التقنية والظروف المحيطة بالنص المعينة على الفهم .

---

(١)أحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد:٢١/١ . مطبعة السنة المحمدية ، د.ت.

(٢) السياق غير اللغوي واثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطيه ، صالح هزله (رسالة ماجستير ،جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر :٢٠١٥) :١٤

(٣) السياق القرآني واثره في تفسير المدرسة العقلية ، سعيد الشهراني(رسالة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٦):٢٢.

(٤)السياق القرآني واثرة في التفسير :دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير بن كثير ،عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨مـ) :٧٢

المطلب الثاني : حجية دلالة السياق

اشار علمائنا الى اهمية السياق ودوره الفعال في فهم النص القرآني عندما أشاروا الى قاعدة مهمه الا وهي : تفسير القرآن بالقرآن[١] . وتعرف هذه القاعدة في عصرنا الحالي بالمنهج السياقي الذي جعل للسياق دور اساسي في فهم النص وتحديد معاني الالفاظ وضبط دلالتها، وقد اختلف العلماء في النظر لهذه الدلالة لكونها دلالة ذوقية . فمنهم من لم يعتبرها ، وردها الى امور :

- صعوبة اقامة الدليل على حجيتها .
- انها دلالة مفهوم .
- التحرز والاحتياط [٢].

ويُرد على هذه الامور بالأدلة النقلية والعقلية الدالة على حجية دلالة السياق :

اولاً : الادلة النقلية :

١. القرآن الكريم :

ختام الآيات بالأسماء الحسنى مراعاة لسياق الآية المتقدم وارشاد الى ما سبق من احكام هو مقتضى هذه الاسماء الحسنى فيأتي الختام متوافق مع ما سبق وهذا يستلزم مراعاة السياق ولازم كلام الله تعالى حق ومن هنا حرص اهل العلم على مراعاة سباق الآية ولحاقها[٣].

---

(١)البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٧٥/٢ . د.ط ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ .

(٢) دلالة السياق عند الاصوليين ، سعد العنزي (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٨– ٢٠٠٨) :١٣٨

(٣) بدائع التفسير الجامع لما فسره الامام ابن القيم الجوزية ، جمع يسري السيد :١٩٤/١

و((ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على ان الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم وهذه قاعدة نافعة عليك بتباعها في حجية الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة))[١].

٢. السنة النبوية الشريفة :

ما رويَّ عن احد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]) الحديث[٢].

كما نجد النبي(ﷺ) لا يذكر الدعاء الا في المقام المناسب فإذا كان الصباح كانت اذكار الصباح ، وهكذا مراعاة لسياق المقام وما يصلح له من المقال [٣].

٣. الاجماع :

دلالة السياق متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى وكلام العرب[٤].

ثانياً : الادلة العقلية :

أ- الاخذ ببعض الاحكام دون البعض الاخر تحكم بلا دليل وهو باطل فلا مسوغ لأحد بأن يأخذ ببعض التفسيرات والاستنباطات المستندة إلى

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة تفسير القرآن :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي اعتنى به خالد خالد بن عثمان السبت:٥١-٥٢

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير (٤٦٤٧) : ٢٩٢/١١

(٣) ينظر : دلالة السياق واثرها في استنباط الاحكام ،خالد محمد العروسي:١٠ .

(٤) ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٧٩٤هـ ،تحقيق : محمد محمد تامر:٣٥٧/٤ . ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، و دلالة السياق عند الاصوليين :١٤٧

دلالة السياق وبعرض عن تفسيرات أخرى معتمدة دلالة السياق في موضع آخر [١].

ب- بتتبع المفردات ذات اللفظ الواحد والمعاني المتباينة وتحديد معناها في ضوء السياق ، وطريق التوصل الى فهمه ، بالنظر الى مفردات الالفاظ من لغة السلف ومدلولاتها ، واستعماله بحسب السياق في تفسير مدلول اللفظ ، لأنه إقتضاه السياق [٢].

المبحث الثاني:

أركان السياق وانواعه واقسامه:

المطلب الأول :أركان السياق :

الركن : ركن الشيء هو جانبه الأقوى [٣] ، وعند بحثنا في الأركان وجدنا نوع من عدم الوضوح في تحديد أركان السياق ، فبعض العلماء حددوا أركان السياق : بالسابق واللاحق واللفظ ، والبعض الاخر أسماها عناصر السياق، وربما اقسام السياق[٤] .

ومحاولة لإزالة هذا اللبس وذلك بالنظر للموقف السياقي ككل باعتباره موقف خطاب ، وكلام موجه. مستعينين بعلوم اخرى تركز في الموقف السياقي ،

---

(١)الإحكام في أصول الأحكام ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، ت: ٤٥٦هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر قدم له : الدكتور إحسان عباس: ٣٧١/٣ . د.ط ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن :١٢٩/٤

(٣) ينظر : لسان العرب : ١٨٥/١٣

(٤) يذكر العلماء في بحوثهم اركان السياق ولا يتفقون على اركان محددة فقال البعض انها السباق واللحاق واللفظ منها رسالة اثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات نوح وهود وصالح وشعيب كما سماها صاحب رسالة اثر السياق في توجيه شرح الاحاديث عند ابن حجر العسقلاني ب عناصر السياق كما يضع صاحب رساله دلالة السياق القرآني السباق واللحاق كركنين للسياق .

فوجدنا علم التنمية البشرية يتحدث عن مهارات الاتصال الفعال ، فعرفوا الاتصال على انه :نقل رسالة من شخص (المرسل) إلى شخص آخر (المستقبل) بحيث يتم فهمهما بشكل صحيح من قبل المستقبل[١]. وقد اسهب علماء التنمية في توضيح مهارات الاتصال وما لها من تأثير على عملية التواصل بين البشر، فوضعوا مكونات اساسيه لعملية الاتصال هي اركان عملية الاتصال نوضحها بالمخطط الاتي :[٢]

(١) مكونات دائرة الاتصال: وهي ثمانية مكونات على النحو الاتي.

الهدف: المقصود به الغرض من الاتصال أو الغرض من نقل الرسالة للمستقبل، ويجب أن يكون الهدف واضح ومصاغاً بأسلوب يجعل المرسل يوفر كافة الوسائل لتحقيقه.

المرسل: هو الشخص الذي يحدد الهدف من الاتصال وله حاجة للاتصال من أجل التأثير على الآخرين. وهناك مهارات يجب أن يتصف بها المرسل وهي:

المستقبل: هو الشخص الذي يستقبل الرسالة من المرسل.

الرسالة: هي الناتج المادي والفعلي للمرسل، ولضمان وصول الرسالة بشكل جيد إلى المستقبل يفضل أن تتصف بالآتي:

قناة الاتصال: هي حلقة الوصل بين المرسل والمستقبل والتي ترسل عبرها الرسالة، لذا يجب أن تكون قناة الاتصال خالية من التشويش ومناسبة لطرفي الاتصال.

التغذية الراجعة: هي المعلومات الراجعة من المستقبل والتي تسمح للمرسل بتكوين حكم نوعي حول فاعلية الاتصال.

الاستجابة: هو ما يقرر أن يفعله المستقبل تجاه الرسالة إما سلباً أو إيجاباً، الحد الأعلى للاستجابة هو أن يقوم المستقبل بما هدف المرسل، كما أن الحد الأدنى للاستجابة هو قرار بتجاهل الرسالة أو أنه لا يفعل أي شيء حول الرسالة...

بيئة الاتصال: نقصد ببيئة الاتصال هو الوسط الذي يتم فيه حدوث الاتصال بكل عناصره المختلفة

(٢)حقيبة مهارات الاتصال، محمد بن عبد العزيز العقيل:٢١ .

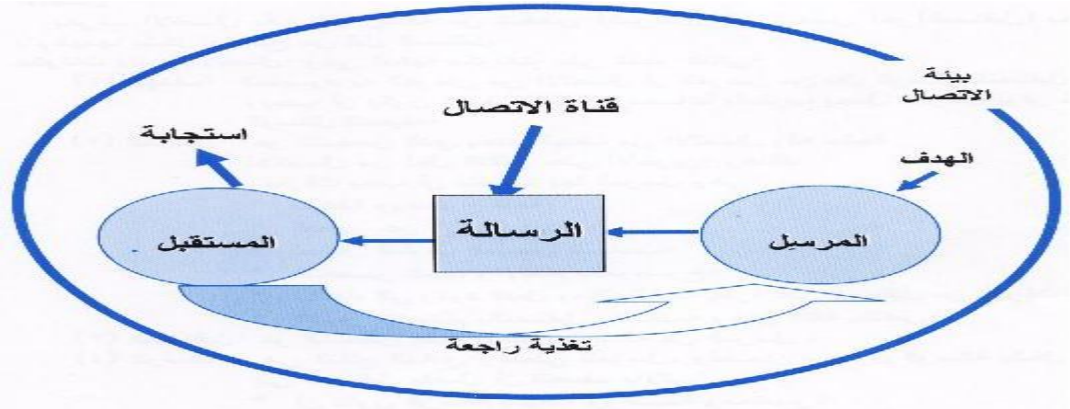

وان كان هذا مقرر في اي كلام فهو اولى بخير الكلام كلام الله عز وجل القرآن الكريم ، كما اننا في تعريفنا للسياق قلنا أنه تفاعل بين باعث (منشئ النص) و سامع (متلقي) و النص (الأداة وهو الكلام بمفرداته) ثم الظروف المحيطة بالنص أي المجال والمحيط التفاعلي للنص.

فخرجنا بأركان للسياق ، الاخلال بأي منها يؤدي الى اخلال بالموقف السياقي او بقسم من اقسام السياق المقالي او المقامي ، اي انها جزء من ماهية الشيء لا يقوم اذا اختل شيء منها ولم يتوفر ، وما دلالة السياق الا مجموعه قرائن توضح مراد الشارع من النص وقد راعى المولى عز وجل حال المخاطب والظروف المحيطة مما يثبت اعتبارها وذلك ان ينزل الحكم ثم ينسخ بعد نزوله مراعاة للظروف بتدرج التشريع فكانت الاركان كالاتي:

١. الباعث .
٢. السامع.
٣. الظروف المحيطة .
٤. النص .

أركـان السيـــاق

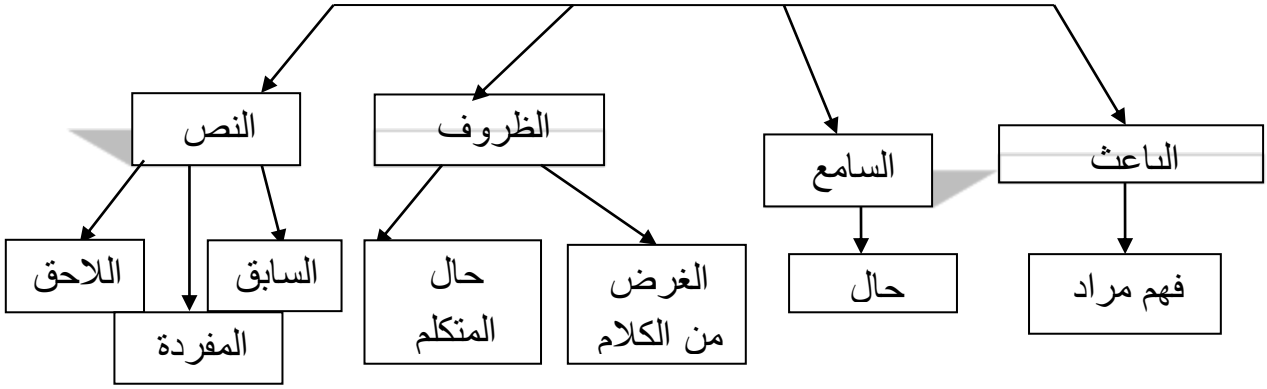

نتناول كل ركن على انفراد كالاتي :

الركن الأول :الباعث:

فـي السـياق القرآنـي الباعـث هـو الله عـز وجـل مصـدر الكـلام القرآنـي و منشـئ الـنص ومـا يتعلـق بـالنص وفهـم مـراد المـتكلم : ((وموجـب الأدلـة السـمعية يتلقـى مـن عـرف المـتكلم بالخطـاب لا مـن الوضـع المحـدث فلـيس لأحـد أن يقـول أن الألفـاظ التـي جـاءت فـي القـرآن موضـوعه لمعـاني ثـم يريـد أن يفسـر مـراد الله بتلـك المعـاني هـذا مـن فعـل أهـل الإلحـاد المفتـرين)) [1] ، و((العـارف يقـول مـاذا أراد ، واللفظـي يقـول مـاذا قـال ، كمـا كـان الـذين لا يفقهـون إذا خرجـوا مـن عنـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم يقولـون بقولـه : ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴿١٦﴾ ﴾ [محمـد : ١٦]. وقـد أنكـر الله سـبحانه علـيهم وعلـى أمثـالهم بقولـه : ﴿ فَمَالِ

(١) بيـان تلبـيس الجهميـة فـي تأسـيس بـدعهم الكلاميـة، أحمـد عبـد الحلـيم بـن تيميـة ، تحقيـق : محمـد بـن عبد الرحمن بن قاسم: ٥٤٤/١ . ط١، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ .

هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨]. فذم من لم يفقه كلامه، والفقه أخص من الفهم ، وهو فهم مراد المتكلم من كلامه ، وهذا قدر زائد على مجرد فهم وضع اللفظ في اللغة ، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه)).[١]

ووجه الاستدلال : بهذه الأقوال أن الله عز وجل هو الأعلم بمراده ، يهدي اليه من أراد ، ولا يمكن لأحد أن يعمد إلى تأويل كلامه عز وجل على هواه خارج حدود المعنى الظاهر بلا دليل، ولا بد للمتلقي لكلامه عز وجل ان يحاول فقه مراد الله تعالى على قدر استطاعته .

الركن الثاني : السامع :

السامع هو كل المكلفين والمعنيين بالخطاب (القرآني) ، ويراعى حال السامع وكل ما يتعلق به ((ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي(ﷺ) وعاداتهم في الكلام والا حرف الكلم عن مواضعه فان كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم في الالفاظ ثم يجد تلك الالفاظ في كلام الله او رسوله او الصحابة فيظن ان مراد الله أو رسوله (ﷺ) او الصحابة بتلك الالفاظ ما يريد له خلاف ذلك وهذا واقع لطوائف من الناس من اهل الكلام والفقه والنحو والعامة غيرهم)).[٢]

والشاهد في قوله (لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي(ﷺ) وعاداتهم في الكلام) إشارة إلى جمله من الأمور اللازمة لفهم

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: ٢١٩/١ . د.ط ، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار:٢٤٣/١ . ط٢، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

القرآن ، منها : اللغة ،ومراعاة سياق المقام، والمقال، وهذا الذي يعنينا في بحثنا عن دلاله السياق .

الركن الثالث :الظروف المحيطة

الظروف المحيطة وتشمل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المحيطة بالنص قيد الدراسة ، وهذا مما ينسب الى سياق المقام وهو بدوره عامل من العوامل التي تمد الشريعة بالسعة والمرونة والملائمة لكل زمان ومكان ،وارتأينا تقسيم الظروف المحيطة الى قسمين بالنظر الى الكلام وهو النص القرآني في بحثنا:

أ- معرفة حال المتكلم عنه :

معرفة حال المتكلم عنه وعلاقة هذا بالركن الذي قبلة (السامع) عموم وخصوص وذلك أنهما يجتمعان إذا كان المتكلم عنه هو السامع فيدخل في هذا معرفة احوال النبي (ﷺ) وسيرته ، واحوال الصحابة ، ومعرفة المكي والمدني ، واحوال النزول ، وعلم القراءات ، ومعرفة الأزمنة والامكنة والاشخاص ، حيث انها تختلف اختلافاً كثيرا، وكذلك كل الظروف المحيطة بالنص [1].

ب- الغرض من الكلام :

الركن الاعلى من الاركان لان بقية الاركان تابعه له من حيث انها مبينة له ((فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الادلة وجب اتباع مراده والالفاظ لم تقصد لذواتها وانما هي ادلة يستدل بها على مراد المتكلم فاذا ظهر المراد ووضح بأي طريق ، كان العمل بمقتضاه سواء كان بإشارة او كتابة او ايماءة او دلالة عقلية أو قرينة حالية او عادة له مُطرِدة لا يخل بها او مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته وانه يمتنع من ارادة ما

(١) ينظر : دلالة السياق واثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى علية السلام ، فهد بن شتوي :٣٥ (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، هـ١٤٢٦- م٢٠٠٥م).

هو معلوم الفساد ويترك ارادة ما هو متيقن مصلحته وان يستدل على إرادته لينظر بإرادة نظيرة ومثله وشبيهه وعلى كراهة الشيء كراهة مثله ونظيرة وشبيهه فيقطع العارف به وبحكمة واوصافه على انه يريد هذا او يكره هذا ويحب هذا ويبغض هذا)) [١].

ونجد وضوح المراد من هذه النقطة بصورة سلسة ومفهومة للقارئ يبدو فيها وجوب مراعاه الغرض من الكلام لتكوين صوره مجملة عن النص وسبب ورود هذه اللفظة في هذا المقام والتعامل مع كل الظروف والقرائن المحيطة بطريقة صحيحة وصولاً لفهم النص مما ينتج عنه من القدرة على توجيه المعنى وبالتالي القدرة على الاستنباط [٢] .

الركن الرابع : النص:

ونقصد بالنص فهم اللفظة المعنية (المفردة) وهذا لا يتأتى الا بفهم ما قبلها وما بعدها وقد اعتمد بعض الباحثين هذا الركن بأقسامه، اركاناً للسياق دون غيرها ، وعلى هذا الاساس سنقسم النص الى : اللفظ ، والسابق ، واللاحق ، كما يأتي :

أ- اللفظ – ونقصد به الفاظ الخطاب ودلالة تراكيبه – ويندرج تحته ثلاثة اركان :

١- المفردات : اكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الالفاظ والمعاني ، وللفظة معنيين : معنى اصلي وهو مأخوذ من لفظها . ومعنى زائد وهو الذي استفادته من التضمين [٣]. وبهذا

---

(١) اعلام الموقعين: ٢١٨/١

(٢) ينظر : :دلالة السياق واثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى علية السلام :٣١

(٣) يقول الزركشي "" التضمين هو اعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الاسماء وتارة يكون في الافعال وفي الحروف فأما في الاسماء فهو تضمين اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعاً ...اما في الافعال فأنه تضمين فعل معنى فعل اخر ويكون في الفعلين جميعاً" البرهان ٣٣٨/٣ ،وينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري، تحقيق : عبد=

اضفنا دليلاً اخر على اهمية النظر الى المفردة وتحقيق معناها[١]. فالمفردة بذاتها لها دلالة ولكن لا يشترط ان تكون هذه هي الدلالة المعنية بالنص في هذا المقام .

٢- هيئة الكلمة بمعرفة تصريفها واشتقاقها ، والمعاني تختلف باختلاف ذلك .

٣- النظر في نظم الجملة الواحدة ، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض ، ففي تبيين معنى المفردة ودلاله هيئتها ، ثم ما يكون بعده من تحديد علاقات المفردات في الجملة وعلاقات الجمل ببعضها البعض بعد ذلك كلة نتبين دلالة الالفاظ على المعاني .((وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب اللفظ وتارة بحسب التأليف وكثير من وجوة الاختلاف فقد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه الى مقصد المتكلم وقد يظهر قصده بدلاله الحال))[٢].

ب- السباق : وهو الكلام الذي يبين معنى ما بعده[٣]،وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع الى ما يسبقه من عبارات بما تشتمل علية من قرائن مؤدية للمعنى .

ت- اللحاق: وهو الكلام الذي يبين معنى ما قبله ،وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته شأنه شأن السباق ونستطيع ان نلتمس هذا بتتبع بعض الأمثلة منها عن قتادة في قولة تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

=الرزاق المهدي: ٦٧١/٢ . دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت ، و انوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي: ٣٠٠/٢ . دار الفكر – بيروت، د.ت .

(١) ينظر : :دلالة السياق واثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى علية السلام :٣٨

(٢) بيان الدليل على بطلان التحليل ، ابن تيميه ، تحقيق: حمدي عبد المجيد : ١٨٣

(٣) المتشابه اللفظي في القصص القرآني :دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وشعيب،، تهاني بنت سالم بن احمد باحويرث:٧٢ (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧مـ) .

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة :١١٦] متى يكون ذلك ؟ قال في يوم القيامة الا ترى انه يقول ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة :١١٩] [1] الحقت بالآية المسؤول عنها فترى وقت الحدث بأنه يوم القيامة ، فاللاحق من الكلام بين المعنى المراد من النص .

المطلب الثاني : أنواع السياق :

يتنوع السياق باعتبارات مختلفة منها ما يعود الى ذات الدلالة او النص الذي تقع فيه اللفظة ، او بالنظر لاختصاص الباحث اصولي او مفسر او لغوي كالاتي:

اولاً: باعتبار موقع النص المراد فهمه وهذه هي الانواع التي تقتصر عليها معظم الكتب والبحوث المتعلقة بالسياق ، وهي:

١.سياق الآية .

٢.سياق المقطع او سياق النص .

٣.سياق السورة .

٤.السياق العام للقرآن الكريم: وفيه يهتم بالأغراض والمقاصد الاساسية للقرآن الكريم اضافة للأساليب المطردة للقرآن الكريم [2].

ثانياً: باعتبار ذات الدلالة خاصة ام عامة :

١.سياق خاص (السياق الاصغر) : سياق المقطع وهو يعني المعاني التي انتظمت في مجموعه من الآيات او اية واحدة .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن ، محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر:١٣٧/٧ . ط١ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

(٢) السياق القرآني واثرة في التفسير:١١٦

٢. سياق عام (السياق الاكبر) : سياق السورة او المعاني التي انتظمت في السورة الواحدة او الموضوع الواحد او السياق العام للقرآن [١].

ثالثاً: باعتبار زمان ومكان السياق ـ السياق التاريخي و التبليغي ـ ومغزى الآية [٢]:

١. السياق المَكاني و يعني سياق الآية أو الآيات داخل السّورة و موقعها بين السّابق من الآيات و اللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها بين السّابق من الآيات و اللاّحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السّورة، و سياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تُربَط الآية بالسّياق الذي وردت فيه، و لا تُقطَع عمّا قبلها و ما بعدها .

٢. السّياق الزّمنيّ للآيات، أو سياق التّنزيل ، و يعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول .

٣. السّياق المَوضوعيّ ، دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد، سواء أكان الموضوع عامّاً كالقصص القرآنيّ أو الأمثال أو الحِكم الفقهية ، أم كان خاصّاً كالقصة المخصوصة بنبيّ من الأنبياء أو حُكم من الأحكام أو غير ذلك، و تتبّع مواقعها في القرآن الكريم ككل .

٤. السّياق المَقاصدي: ويعني النّظر إلى الآيات القرآنيّة من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامّة للموضوع المُعالَج .

---

(١) دلالة السياق واثرها في فهم الحديث النبوي : د.عبد المحسن التخيفي:٤ ، بحوث الندوة الدولية الرابعة: "السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد" بدبي ، https://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٦٦٤٨٠&d...

(٢) ينظر: اثر السياق في فهم النص القرآني ، د. عبد الرحمان بودرع ،: ٧٢-٧٣،(مجلة الأحياء ، مجله فصليه تصدرها الرابطة المحمدية / المغرب ،العدد٢٥ ، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م)

٥. السّياق التّاريخيّ بمعنييه العامّ و الخاصّ : فالعامّ هو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم و المُعاصرة لزمن التّنزيل، والخاصّ هو أسباب النّزول.

٦. السّياق اللّغويّ وهو دِراسةُ النص القرآنيّ من خلال علاقاتِ ألفاظِه بعضها ببعض و الأدوات المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ ، و ما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئيه و كلّيه .

و ينبغي تحكيم كلّ هذه الأنواع من السّياق عند إرادة دراسة النّصّ القرآني بمنهج سياقيّ متكامل، و إلاّ فإنّ الاقتصار على السياق التّاريخيّ سيحوم حول النّصّ و لا يعدوه، وأمّا الاقتصار على السّياق الدّاخليّ وحده دون الالتفات إلى الأحداث التّاريخيّة المحيطة به أو المصاحبة لنزوله فسيجعل النّصّ بنيه لغويّه مغلقه تقتصر على ما تفيده الألفاظ من معانٍ و دلالات . كما اننا لا يمكن ان نقتصر على سياق الآية ونفهم النص بمعزل عن سياق السورة التي وردت فيها الآية والسياق العام للقرآن الكريم .

المطلب الثالث : أقسام السياق

تقسم دلالة السياق الى قرائن مقاليه وقرائن مقاميه وبمعنى اخر تقسم دلالة السياق الى اقسام باعتبار اللفظ والمعنى :

١. سياق المقال ويعبر عنه بألفاظ مختلفة تدور حول المفهوم نفسة وهذه الالفاظ هي:(السياق اللفظي ، سياق النص ،السياق الداخلي) .

وهو السياق اللغوي الداخلي الذي ينتج عن ترابط الاصوات فيما بينها لتوليد الكلمات والكلمات فيما بينها لتوليد وتشكيل الجمل . فالقرائن المعتبرة لمعرفة دلالة سياق المقال راجعه الى النظم والتركيب النحوي مع اعتبار قواعد دلالات الالفاظ فالباحث في دلالة سياق المقال يحتاج الى التمكن من تلك

الادوات ومن هنا تتفاوت قدرات الباحثون في هذا المجال بسبب تفاوتهم في امتلاك تلك الادوات وامكانية تطبيقها .

٢. سياق المقام ويعبر عنه بألفاظ مختلفة تدور حول المفهوم نفسة وهذه الالفاظ هي: (سياق المعنى ، سياق الموقف ، سياق الحال ، السياق الخارجي).

وهو يمثل البيئة التفاعلية بين المتكلم والمخاطب وما بينهما من عرف سائد يحدد مدلولاته الكلام وذلك ان تداول الخطاب يجري في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث والمخاطب وليس لفظا مجرداً في محيطه الذي يجري فيه[١]. كما انه يشمل كل الظروف المحيطة بالنص والموجهة للمعنى من سبب نزول او قراءات او مكي ومدني وما الى ذلك من ظروف طارئة لا تتعلق بالبنية التركيبية النحوية او النظم والتي بدورها تؤثر بالمعنى .

المبحث الثالث:

قواعد الاستدلال بدلالة السياق:

تمهيد:

لما كان السياق أصلا عظيماً في تفسير كلام الله تعالى وبيان معناه، فقد توجه بعض الدارسين لاستخلاص القواعد والضوابط المتعلقة بالسياق من كلام المفسرين والعلماء المحققين ، ليكون منهجاً ثابتاً يجب مراعاته في تفسير كلام الله تعالى. واذا كان كذلك فأنها ولابد تخضع للتقعيد والضبط شأنها شأن الدلالات الاخرى .

والضابط هو : ((ما انتظم صورا متشابهة في موضوع واحد غير ملتفت فيها الى معنى جامع مؤثر))[٢]

---

(١) ينظر: دلالة السياق عند الاصوليين :٨٧-٩٣.

(٢) ينظر : القواعد الفقهية ،يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين: ٦٧. ط١، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

فالفقهاء يستخدمون كلمة الضابط بمعنى القاعدة في استخدامين[١]، هما:

الأول : كمرادف للقاعدة بمعناها الاصطلاحي، فيعرفون كل من القاعدة والضابط بأنه : ((أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه))[٢] .

الثاني :بمعنى أخص من القاعدة، وهو ما انتظم فروعا من باب واحد فقط، ولهذا يقولون ((الفَرْقُ بَيْنَ الضَّابِطِ وَالْقَاعِدَةِ أَنَّ الْقَاعِدَةَ تَجْمَعُ فُرُوعًا مِنْ أَبْوَابٍ شَتَّى ، وَالضَّابِطُ يَجْمَعُهَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ . فِي عِبَارَةِ بَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ مَا نَصُّهُ وَرَسَمُوا الضَّابِطَةَ بِأَنَّهَا أَمْرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ لِتُعْرَفَ أَحْكَامُهَا مِنْهُ، قَالَ:وَهِيَ أَعَمُّ مِنْ الْقَاعِدَةِ وَمِنْ ثَمَّ رَسَمُوهَا بِأَنَّهَا صُورَةٌ كُلِّيَّةٌ يَتَعَرَّفُ مِنْهَا أَحْكَامُ جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهَا وَالْقَانُونُ أَعَمُّ مِنْ الضَّابِطَةِ إذْ يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الْجُزْئِيَّةِ كَالْمِسْطَرَةِ وَالْكُلِّيَّةُ كَقَوْلِهِمْ مِيزَانُ الْأَذْهَانِ آلَةٌ قَانُونِيَّةٌ تَعْصِمُ مُرَاعَاتُهَا الذِّهْنَ مِنْ الْخَطَأِ فِي الْفِكْرِ))[٣].

واجد ان الاختلاف انما هو اختلاف في المصطلحات ولا مشاحة في هذا ، وبهذا يكون الضابط مرادف للقاعدة او متمايز عنها داخلاً فيها ، وما اميل اليه هو عدم التفريق بينهما وبالتالي هو ما انتهجته في البحث، فالأدلة العقلية لحجية دلالة السياق كلها تدل في مضمونها ان دلالة السياق لابد لها من ضوابط واعمال الكلام وعدم إهماله اصل مقرر عند اهل العلم وهذا يعني ان للكلام ضوابط تحكم اعماله وعدم اهماله فالاحتجاج بدلالة السياق تقتضي ان يضبط بنحو من ذلك ، ومن عادة العرب ان لا يحتجون بلغتهم بما لا يضبط ولا يقرون ما يطرد. وهناك ضوابط عامة للسياق وهي القرائن العامة لسائر دلالات الالفاظ وغيرها من القرائن التي يحتكم اليها في تفسير

---

(١) ينظر :قواعد التفسير ، خالد بن عثمان السبت: ٣٣ . دار بن عفان، د.ت.

(٢) ينظر : شرح الكوكب المنير: تقي الدين المعروف بابن النجا ،تحقيق : محمد الزحيلي و نزيه حماد :٣٠/١ .

(٣) ينظر : غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي:٢/٣ . ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ .

النصوص ، فالقرينة لابد لها ان تكون معتبرة لتعين على الفهم الصحيح فالأصل الاعتماد على القرائن اللفظية والقرائن الحالية وان احتيج الى القرينة العقلية فلابد ان تكون بمعونة من قرائن المقال وقرائن الحال حتى لا يترك المجال مفتوح للعقل القاصر ليتحكم بمفرده في فهم النصوص دون ضوابط ،ومن هذه الضوابط العامة[١]: (اعتبار مراد الشارع ، اعتبار لغة العرب، اعتبار حال الصحابة).

ومما يجدر الاشارة اليه ان دلالة السياق لا يُطلب لها دليل لإثباتها ((دلالة السياق لا يقام عليها دليل، وكذلك لو فهم المقصود من الكلام وطولب بالدليل عليه لعسر فالناظر يرجع إلى ذوقه، والمناظر يرجع إلى دينه وإنصافه))[٢] . ولابد للمستدل بالسياق من معرفة القواعد الأصولية المتصلة بدلالة السياق: العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز، والإجمال والبيان. كما ينبغي أن يعلم أنَّ دلالة السياق تتنوع بحسب الحال التي ورد اللفظ فيها كلفظ السلام إذا ورد في سياق ذكر الصلاة، فإن السابق إلى الذهن، (وهو دلالة السياق) معنى خاص وهو التحلل من الصلاة، وإذا ورد في سياق التعامل، فإنَّ السابق إلى الذهن هو التحية [٣].

تعيين السياق امر ذوقي مبني على الاجتهاد والعلم بأصوله وقواعده فالبحث عن السياق هو بحث عن قرينه ، و القرينة موجوده علمها من علمها وجهلها من جهلها، ولذا تجد الاختلاف بين المفسرين على تعيين السياق في الآية الواحدة. وهي تبين لنا أنه لا يجب اعتبار السياق وتعيينه إلا بدليل ظاهر، كأن يكون السياق ظاهراً في الآية كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ

(١) ينظر: دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية سعد بن مقبل بن عيسى العنزي:١٧٥-١٩٩ .

(٢)أحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام:١٨٧/٢.

(٣) دلالة السياق عند الاصوليين : ١٧٥ ، وينظر : :دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي د. عبد المحسن التخيفي :٨

﴿وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق ١-٣] فالسياق هنا ظاهر متعين في بيان المراد بالطارق وأنه النجم الثاقب وقد احتكمت في القواعد الى ما قرره العلماء في اصول التفسير عند ذكرهم لقواعد التفسير ، ذلك انهم افردوا للسياق قواعد ميزوها بالإشارة المباشرة لها مما يعني تبلور المنهج السياقي في الاستدلال والاستنباط ، لديهم والوصول للحكم انما هو جزء من فهم المعنى . ومن الجدير بالذكر ان القواعد المتعلقة بالسياق انما هي قواعد استقرائية وجدت في كتب المفسرين وفي كتب اصول التفسير ذلك ان المفسرين طبقوا المنهج السياقي في التفسير واستدلوا بالسياق في تفاسيرهم مما دعاهم لتتبع قواعد خاصة بالسياق ترشدهم لضبط الاستدلال والترجيح وبالتالي الاستنباط ، وقد قسمت الى قواعد عامه ، وقواعد الترجيح[١]، وهي كالاتي :

المطلب الأول: القواعد العامة في السياق

القاعدة الاولى : السياق القرآني أصل معتبر في تفسير القرآن الكريم

فهو ثابت جار في كلام الله تعالى، إذ لا يخلو كلام من سياق يدل على مراد المتكلم ، وهذا أمر متفق عليه.

فالسياق هو الذي يجعل الكلام متناسقاً منتظماً، ومراعاة السياق مسلك معتبر في التفسير، وأدعى إلى الوصول لمراد الله .((السياق يرشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته))[٢].

(١) ينظر :السياق واثره في التفسير ،عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري :١١٦-١٦١ .

(٢) بدائع الفوائد ،ابن القيم الجوزية ، تحقيق علي بن محمد العمران:٩/٤.

((دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى))[١].كما ان من الواجب على المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له .((ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز))[٢].

واقوال العلماء واعتمادهم السياق في التفسير خير دليل على انه اصل معتبر في الاستدلال وذلك بتتبع اساليب المفسرين وادواتهم التي استخدموها في الماضي والحاضر عند التفسير كما انهم افردوا قواعد سموها قواعد السياق .

مثال:

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ٢٦﴾ مريم : [٢٥ -٢٦].

((لم يصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة ببيان الشيء الذي أمرها أن تأكل منه، والشيء الذي أمرها أن تشرب منه. ولكنه أشار إلى أن الذي أمرها أن تأكل منه هو: الرطب الجني المذكور. والذي أمرها أن تشرب منه هو النهر المذكور المعبر عنه (بالسري) كما تقدم؛ هذا هو الظاهر.

وقال بعض العلماء: إن جذع النخلة الذي أمرها أن تهز به كان جذعاً يابساً؛ فلما هزته جعله الله نخلة ذات رطب جني. وقال بعض العلماء: كان الجذع جذع نخلة نابتة إلا أنها غير مثمرة، فلما هزته أنبت الله فيه الثمر وجعله رطباً جنياً. وقال بعض العلماء: كانت النخلة مثمرة، وقد أمرها الله بهزها ليتساقط لها الرطب الذي كان موجوداً. والذي يفهم من سياق القرآن: أن الله أنبت لها ذلك الرطب على سبيل خرق العادة، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة. ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك، سواء

(١) البحر المحيط في أصول الفقه :٣٥٧/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن :٣٦/١.

قلنا إن الجذع كان يابساً أو نخلة غير مثمرة، إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطباً جنياً. ووجه دلالة السياق على ذلك أن قوله تعالى: (فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْناً) ، يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به. فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر، وانبات الرطب، وكلام المولود تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسياً منسياً لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر))[١]. وهنا يظهر الاستشهاد بدلاله السياق في التفسير .

القاعدة الثانية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢].

هذه القاعدة الأصولية تعتبر قاعدة في السياق من جهة أنه لا عبرة بخصوص السياق الذي نزلت فيه الآية، وإنما العبرة بسياقها العام وهو ما دل عليه غرضها وحكمها العام، ولهذا جاءت ألفاظ القرآن عامة.

((والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عموميات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنما تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه))[٣]. فخصوص السبب عمدة في فهم المعنى، وعموم اللفظ عمدة في حكم الآية[٤]، إلا أن ما نزلت الآية بخصوصه قطعية الدخول في معنى الآية إذ هي الأصل فيها، لكن الآية تشمل غيره من جهة القياس على

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي: ٣٩٧/٣ . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

(٢) ينظر : مجموع الفتاوى :٤٤/٣١ .

(٣) نفس المصدر :٣٣٨/١٣.

(٤) ينظر :السياق القرآني واثره في التفسير :١٤٨

وصفه أي اشتراكهما في الوصف فيكون هذا الوصف بدورة سبب(قرينه) يقاس علية فيشتركان في الحكم . و((النص يكون مختصاً بالسبب الذي كان السياق له، فلا يثبت به ماهو موجب الظاهر... فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب، فيكون النص ظاهراً لصيغة الخطاب، نصاً باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها))[١]. و ((إذا كان السياق في قصة معينة، أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به، ذكر الحكم وعلقه على الوصف العام، ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، ليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين))[٢]. ولهذا قيل ((إن صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تتنزل الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق))[٣].

مثال:

قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [الليل ١٧-١٨] فإنها نازلة في أبي بكر الصديق بالإجماع[٤] ، ومع كونها فيها ثناء عليه إلا أن الصيغة العامة التي وردت فيها تفيد أن هذا الحكم ليس مقصوراً عليه .ولهذا فإنه كثيراً ما تكون الآيات نازلة بحال معين أو حدث خاص أو شخص مقصود، إلا أنها تأتي بصيغة العموم فتعم غيره من جهة الوصف؛

---

(١) أصول السرخسي، محمد بن شمس الأئمة السرخسي، ت ٤٨٣هـ ، تحقيق: ابو الوفا الافغاني :١٦٤/١ . دار المعرفة – بيروت، د.ت

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق:٦٨٢/١ . ،ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

(٣)الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ت٩١١هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم:٦٥/١ . د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٤) ينظر : أسباب النزول ، علي بن احمد الواحدي، ت ٤٦٨هـ ، تحقيق: كمال بسيوني زغلول:٧٢١ . ط١، دا الكتب العلمية بيوت –لبنان ،١٤١١هـ_١٩٩١م.

لأن القرآن عام في حكمه، إلا أنه يجب اعتبار ما نزلت فيه الآية في بيان المعنى ابتداءً؛ لأنه المحدد للوصف وللغرض من الآية.

القاعدة الثالثة: الاصل بقاء ترتيب النظم :

الاصل في كلام العرب الاتيان به على تركيبه وقد يحيد العرب عن هذا الاصل تفنناً ((دلالةً على تحكمهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم))[١] . ولكن لابد من الدليل على التقديم والتأخير سواء من سياق الكلام، او من دلالة الحال .((ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه او تأخيره عن مكانه الا بحجه واضحه))[٢]. وقيل ((الكلام اذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير الى التقديم والتأخير))[٣] . وقيل((التقديم والتأخير على خلاف الاصل فالأصل اقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه ثم انما يجوز فيه التقديم والتأخير مع القرينة اما مع اللبس فلا يجوز لأنه يلتبس على المخاطب))[٤] .

مثال:

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [المائدة : ١٠١] قوله تعالى ((لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء دل على سؤالاتهم عن تلك الأشياء فقوله وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا أي وإن تسألوا عن تلك السؤالات حين ينزل القرآن لكم أن تلك السؤالات هل هي جائزة أم لا والحاصل أن المراد من هذه الآية أنه يجب السؤال أولاً وأنه هل يجوز السؤال عن كذا وكذا أم لا، ثم قال

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي :٢٣٣/٣

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٣٥١/١٣

(٣) مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي:١٧٢٠/١ . ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .

(٤) السياق القرآني واثرة في تفسير ابن كثير:١٥٠

تعالى عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وفيه وجوه الأول عفا الله عما سلف من مسائلكم وإغضابكم للرسول بسببها فلا تعودوا إلى مثلها الثاني ى نه تعالى ذكر أن تلك الأشياء التي سألوا عنها إن أبديت لهم ساءتهم فقال عَفَا اللَّهُ عَنْهَا يعني عما ظهر عند تلك السؤالات مما يسؤكم ويثقل ويشق في التكليف عليكم الثالث في الآية تقديم وتأخير والتقدير لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها في الآية إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وهذا ضعيف لأن الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير وعلى هذا الوجه فقوله عَفَا اللَّهُ عَنْهَا أي أمسك عنها وكف عن ذكرها ولم يكلف فيها بشيء)) [١].

القاعدة الرابعة: حمل السياق على الاتصال لا على الانقطاع :

مما لا ريب فيه عند أحد من العقلاء أنَّ الكلام إنما يتم معناه بتمام آخره؛ وأن دلالته إنما تستفاد بعد تمامه وكماله؛ وأنه لا يجوز أن يكون أوله دالا دون آخره؛ كما لا يقال:أنَّ أوله يعارض آخره .فالتعارض إنما يكون بين دليلين مستقلين، والكلام المتصل كله دليل واحد، فالمعارضة بين أبعاضه كالمعارضة بين أبعاض الأسماء المركبة[٢] .

مثال:

قوله تعالى﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف : ٥٣] هل هذا من كلام يوسف علية السلام أم

(١) مفاتيح الغيب :٨٩/١٢

(٢) ينظر : مجموع الفتاوي :١١٧/٣١

هو من كلام امرأة العزيز؟. قولان للمفسرين[١] والصحيح أنه من كلام المرأة لأن الأصل حمل السياق على الاتصال لا على الانقطاع[٢] .

القاعدة الخامسة: اذا وقعت النكرة في سياق النفي او النهي او الشرط او الاستفهام دلت على العموم[٣]:

مثال:

قوله تعالى :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] ، ((النكرة في سياق النفي تفيد العموم : أي لا تعلم نفس من النفوس أي نفس كانت ما أخفاه الله سبحانه لأولئك الذين تقدم ذكرهم مما تقر به أعينهم قرأ الجمهور (قرة) بالإفراد وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة وأبو الدرداء من قرات بالجمع وقرأ حمزة (ما أخفي) بسكون الياء على أنه فعل مضارع مسند إلى الله سبحانه وقرأ الباقون بفتحها فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود ما نخفي بالنون مضمومة وقرأ الأعمش يخفي بالتحتية مضمومة قال الزجاج في معنى قراءة حمزة : أي منه ما أخفى الله لهم وهي قراءة محمد بن كعب و ما في موضع نصب ثم بين سبحانه أن ذلك بسبب أعمالهم الصالحة فقال : (جزاء بما كانوا يعملون) أي لأجل الجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا أو جوزوا جزاء بذلك))[٤].

---

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن احمد بن جزي الكلبي، ت ٧٤١هـ، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم: ١٢١. ط١،دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان،١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، و الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٠/١٧٩-١٧٧ .

(٢) ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: ١/٣١٩ . د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٣) القواعد الحسان في تفسير القرآن : ٢٢

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (تفسير الشوكاني) ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش: ٣٦٠١٤ . ط٤، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

القاعدة السادسة: ختم الآيات بالأسماء الحسنى تدل على ان الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم (١):

لا نجد اية رحمة مختومة باسم لا يدل على الرحمة ، ولا آيات العقوبة مختومة بصفات العزة والقدرة والحكمة والعلم . والحديث عن تتبع هذه الآيات لا مجال لحصره هنا ، وهذا لا يخفى على متفكر في القرآن الكريم .

مثال:

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٥].

وقال في الأنعام أيضا: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأنعام:١١٩].

وقوله ايضا: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [النحل:١١٥].

وقوله ايضا: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة:١٧٣].

وقوله ايضا: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن:٥١

ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة:٣] فإخراج ما اضطر الانسان عليه من حكم التحريم الى الاباحة بالنظر لتذييل الآية بالغفور الرحيم ولهذا كان في قوله (ما أهل لغير الله به) ((فإن الله تعالى كلما ذكر تحريمها استثنى منها حالة الضرورة، فأخرجها من حكم التحريم))[١] .

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بترجيح السياق:

القاعدة الأولى:" القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على من خالف"[٢]:

وهذه قاعدة معمول بها في الترجيح بين التفاسير ، وقد اعتبر السلف والعلماء هذه القاعدة في تفسيرهم . فابن جرير الطبري مثلا (يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام)[٣].

مثال:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي

(١) أضواء البيان ، الشنقيطي :٣٥٦/٧

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه : مناع بن خليل القطان: ٢٩٩ ،ط١، دار القاسم، ١٤١٧ – ١٩٩٦

(٣) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير:٢١٩

ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الصافات : ٩٩-١١٠].

((العلماء اختلفوا في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم في المنام بذبحه، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي، ثم لمّا باشر عمل ذبحه امتثالاً للأمر، فداه اللَّه بذبح عظيم، هل هو إسماعيل أو إسحاق ... أن القرءان العظيم قد دلّ في موضعين، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق أحدهما في "الصافّات" ، والثاني في "هود" .

أمّا دلالة آيات "الصافّات" على ذلك، فهي واضحة جدًا من سياق الآيات، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيّه إبراهيم: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ، قال بعد ذلك عاطفًا على البشارة الأولى: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ) ، فدلّ ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشّر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب اللَّه على أن معناه:

فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضًا: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) ، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزّه عنه كلام اللَّه، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسمعيل، وأن البشارة بإسحاق نصّ اللَّه عليها مستقلّة بعد ذلك...ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، فآية "الصافّات" هذه، دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق

يقينًا عبّر عنه في كلّها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم...وأمّا الموضع الثاني الدالّ على ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة "هود" ، فهو قوله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} ؛ لأن رسل اللَّه من الملائكة بشَّرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه، وهو صغير، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب...فهذه الآية أيضًا دليل واضح على ما ذكرنا، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلّة القرآنية على ذلك)) [١] .

القاعدة الثانية: حمل كتاب الله على الأوجه الاعرابية اللائقة بالسياق[٢]:

هذه القاعدة تعني أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعاني والأوجه اللغوية والإعرابية والبلاغية اللائقة بسياق الآية والموافقة لأسلوب القرآن، دون الأوجه القاصرة عنه، وليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه[٣]، إذ القرآن هو أعظم الكلام، فلا بد من حمله على أكمل الوجوه وأعظمها، ولا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي . ((فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني، وأفصح الأقوال، فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك))[٤].اذا تنازع الآية اعرابات مختلفة فلا نعتبرها كلها بل نعتبر منها الموافق للسياق فالإعراب فرع من المعنى ((الاعراب في الحقيقة معنى لا لفظ))[٥].

---

(١) اضواء البيان : الشنقيطي :٣١٧/٦

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين :٦٣٥/٢.

(٣) ينظر : المصدر نفسه :٦٣٥/٢-٦٤٥.

(٤) ينظر : الإشارة إلى الإيجاز ،العز بن عبد السلام :٢٢٠.

(٥)المقتصد في شرح الايضاح، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: د.كاظم بحر المرجان: ٩٩١١ . د.ط ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م

وقد اصل العلماء لهذه القاعدة بقولهم ((ينبغي ان يتفطن هاهنا لإمر لابد منه وهو انه لا يجوز ان يحمل كلام الله ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الاعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما فهذا مقام غلط فيه اكثر المعربين للقرآن فأنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يجعل تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب اي معنى اتفق وهذا غلط عظيم ويقطع السامع بأن مراد القرآن غيرة وان احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر فأنه لا يلزم أن يحتمله القرآن))[1].

مثال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء:١١].

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ) على مذهب ما قد سُمِّي فاعله، لأن الآية كلها خبر عمن قد سمي فاعله. ألا ترى أنه يقول:(ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان لا ولد) فكذلك الذي هو أولى بقوله:(يوصي بها أو دين)، أن يكون خبرًا عمن قد سمي فاعله، لأن تأويل الكلام: ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد من بعد وصية يوصي بها أو دين يُقضى عنه...

(آباؤكم وأبناؤكم)، هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم – من قسمة ميراث ميِّتكم فيهم على ما سمي لكم وبيَّنه في هذه الآية – آباؤكم وأبناؤكم (لا

(١) بدائع الفوائد :٨٧٦/٣

تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا)، يقول: أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتُكم أن تعطوهم ، فإنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعًا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم.[١].

القاعدة الثالثة: كل تفسير ليس مأخوذاً عن دلالة الفاظ الآية وسياقها فهو رَد على قائله[٢]:

هذه القاعدة نتيجة للقاعدة التي قبلها، فإذا ورد تفسير خرج بمعاني كتاب الله تعالى عما تدل عليه ألفاظه وسياقه ولم يدلّ اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من الدلالة: مطابقة، أو تضمناً أو التزاماً، أو مفهوماً، أو موافقاً، أو مفهوماً مخالفاً، فهو مردود[٣]. وهذه القاعدة مقرره عن سلف الأمة وعلمائها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن هذا القرآن كلام الله عز وجل فضعوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم) [٤] . ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ[٥].

---

(١)جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن: ٤٨/٧

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي بن حسين الحربي راجعه : مناع بن خليل القطان: ٣٤٩.

(٣) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين :٣٤٩/٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد :٤٦، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣:٧/٣٣٠.

(٥) ينظر : الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ت٩١١هـ ، تحقيق :سيف الدين عبد القادر الكاتبدار،دار الكتب العلمية – بيروت١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م :٣٥٢.

القاعدة الرابعة: حمل الكلام على الغالب[١] :

حمل كلام الله على الغالب من عرفه ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك. ((إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء))[٢]. وهذه القاعدة يقصد بها الغالب من اسلوب القرآن الكريم .

((ومن أنواع البيان المذكور في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية))[٣].

مثال:

قوله تعالى :﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم :٧١-٧٢]

اتفق المفسرون على أن المتّقين لا تنالهم نار جهنّم ، واختلفوا في محل الآية :

١. فمنهم من جعل ضمير { منكُم } لجميع المخاطبين بالقرآن ، ورووه عن بعض السلف .
٢. ومنهم من لم يجعل الخطاب في قوله وإن منكم إلاّ واردها لجميع النّاس مؤمنهم وكافِرِهم على معنى ابتداء كلام؛ بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النّار مع الكافرين ثم يُنْجوَن من عذابها ، لأنّ هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق ، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي بن حسين الحربي راجعه : مناع بن خليل القطان: ١٧٢

(٢) مجموع الفتاوى :٣٥/٧.

(٣) أضواء البيان :٥١/١

السابقة ، ولأنّ فضل الله على المؤمنين بالجنّة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مَساقاً واحداً ، كيف وقد صُدّر الكلام بقوله(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)

فموقع هذه الآية هنا كموقع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر:٤٣] عقب قوله :﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر:٤٢] . فلا يتوهم أن جهنّم موعد عباد الله المخلصين مع تقدّم ذكره لأنّه ينبو عنه مقام الثناء.

واصحاب القول الاول صدمَهم فساد المعنى ومنافاة حكمة الله والأدلّة الدالة على سلامة المؤمنين يومئذ من لقاء أدنى عذاب ، فسلكوا مسالك من التّأويل[١].

القاعدة الخامسة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها ، وعودة الضمير لأقرب مذكور الا لدليل فيه خلاف ذلك [٢].

إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق واحد، واحتملت في مرجعها أقوالاً متعددة، فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى وأحسن؛ لانسجام النظم، واتساق السياق .

وقد اعتمد هذه القاعدة أئمة اللغة من المفسرين [٣]،

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور:٧٩/٩ . ط١،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(٢) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين :٢/ ٦١٣.

(٣) مثل ابن جرير، والزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان وغيرهم، ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين :٢/ ٦١٣.

((وتناسق الضمائر لشيء واحد أوضح)) [١].وقيل ((إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف))[٢].

مثال:

قوله تعالى: ﴿ فَأَقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه:٣٩] ((الضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم... ومراعاته أهم ما يجب على المفسر))[٣].

القاعدة السادسة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا أن يدل السياق على الحذف [٤].

لا يقدر في الكلام إلا ما دل السياق عليه : يعتبر الحذف من الكلام ما يدل المذكور عليه، من باب الاختصار والإيجاز، ولكن لا يسوغ ادعاء الحذف مالم يدل عليه دليل، لأن ما يقدر من احتمال إضمار أو حذف أو مجاز أو اشتراك ونحوه إنما يقع مع القرينة، أما مع عدمها فلا، وهذا مقرر عند العلماء. ((الإضمار خلاف الأصل، فلا يصار إليه الا لمانع))[٥] ،والقرآن والسنة هما عربيان، لا يصح فيهما إضمار ما لا يشهد له السياق، والإعراض عما دل عليه السياق ، والأصل في كلام الله تعالى أن يكون كاملاً لا يحتاج إلى تقدير، إلا أن يدل السياق على الحذف؛ لأن الإضمار

---

(١) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض:١٨٩/٨ ،ط١ ،دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) البرهان في علوم القرآن :٣٥/٤.

(٣) الكشاف :٥٣٦/٢.

(٤) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ٤٢٤/٢.

(٥)غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران:٢٧٨/١، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

والحذف والتقدير خلاف الأصل[١]. وقيل ((متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان أولى من أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها عن التكلف، وأسوغها في لسان العرب))[٢] .ولا يقال بالحذف في كلام الله تعالى إلا بدليل من السياق يدل عليه. ((تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار))[٣].فقد ((تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفاً، ولكن لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق))[٤].

مثال:

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة ٧٣].

((ورفعت الثلاثة بمحذوف دل عليه الظاهر، وهو (هم)، ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة))[٥]، فنجد ان الطبري استدل على وجود الحذف بالسياق، وقدره بحسب سياق الآية.

و التقدير: هو ثالث ثلاثة، لموافقته لما ظهر في القرآن وهذا أولى [٦].

---

(١) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله: ٢ / ٥٩٩ . ط٦، دار الفكر – بيروت ١٩٨٥م.

(٢) تفسير البحر المحيط ١/ ٦١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٩/١.

(٤) التحرير والتنوير:١٢٢/١.

(٥)جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن :٣٧/٦.

(٦) ينظر : تفسير البحر المحيط :١٤٤/٤.

القاعدة السابعة: جميع حذوف القرآن لا تقدر إلا على أكمل الوجوه اللائقة بالسياق.

إذا دل السياق على حذف في الآية، فإنه لا يقدر إلا أفصح التقديرات وأنسبها للسياق والغرض، أو ما دل عليه سياق آية أخرى. ((جميع حذوف القرآن من المفاعيل والموصوفات وغيرها لا يقدر إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض؛ لأن العرب لا يقدرون إلا مالو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام))[١]. و أيضاً: ((لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة وملاءمة للسياق))[٢].

مثال:

قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الانبياء:٦٩] مسبوق بكلام محذوف يفهم من سياق القصة. والتقدير : وأحضر قوم إبراهيم الحطب ، وأضرموا نيرانا عظيمة ، وألقوا بإبراهيم فيها ، فلما فعلوا ذلك ، قلنا : يا نار كونى – بقدرتنا وأمرنا – ذات برد ، وذات سلام على إبراهيم ، فكانت كما أمرها الله – تعالى – ، وصدق – سبحانه – إذ يقول : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة:١١٧] وتحولت النار إلى برد وسلام على إبراهيم ، وأراد الكافرون به كيدا ، أى إحراقا بالنار " فجعلناهم " بإرادتنا وقدرتنا " الأخسرين " حيث لم يصلوا إلى ما يريدون ، ولم يحققوا النصر لآلهتهم ، بل رد الله – تعالى – كيدهم في نحورهم [٣] .

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز :٤.

(٢) المصدر نفسه :٢.

(٣)التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:٢٩١٢/١ .ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

القاعدة الثامنة: اذا دار الكلام بين التأكيد والتأسيس فحملة على التأسيس اولى [١].

إذا احتمل اللفظ في السياق بين أن يكون مفيداً معنى جديدا لم يسبق في الكلام، أو يكون مؤكداً للفظ أو جملة سابقة، فحمله على الإفادة أولى من الإعادة إلا أن يدل السياق على كونه تأكيداً. وقد ذكر صاحب قواعد الترجيح هذه القاعدة من غير أن يذكر رجحان التأكيد حال دلالة السياق عليه، فقال: "قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى"[٢].

مثال:

قوله تعالى :﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۝٤ ﴾ [يوسف:٤] يجوز فيه وجهان :

أحدهما : أن تكون الواو عاطفة ، وحينئذ : يحتمل أن يكُون من باب ذكر الخاصِّ بعد ذكر العام تفصيلاً له ؛ لأن الشَّمس والقمر دخلا في قوله : (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً) فهذا كقوله :﴿ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ۝٩٨ ﴾ [البقرة : ٩٨] بعد قوله : " ومَلائِكتهِ " ويحتمل أن لا تكون كذلك ، وتكون الواوُ لعطف المغايرة ؛ فيكون قد رأى الشمس والقمر زيادة على ال " أَحَدَ عَشَرَ " ومن جملتها الشمس والقمر[٣] .

والوجه الثاني : أن تكون الواو بمعنى : (مَعَ) إلا أنَّه مرجوحٌ ؛ لأنَّه متى أمكن العطف من غير ضعفٍ ، ولا اخلال بمعنى ، رُجِّح على المعيَّة ؛ وعلى هذا فيكون كالوجه الذي قبله ، بمعنى : أنه رأى الشمس ، والقمر

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي بن حسين الحربي راجعه : مناع بن خليل القطان: ٢/ ٤٧٣.

(٢) المصدر نفسه ٢/٤٧٣.

(٣) ينظر الكشاف : ٢/٤١٦- ٤١٨.

زيادةً على الأحد عشر كوكباً . قوله : (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يحتمل وجهين :

أحدهما : أنَّها جملة كُرِّرت للتوكيد ؛ لما طال الفصل بالمفاعيل ، كما كُرِّرت " أنكُم " في قوله تعالى : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المؤمنون : ٣٥] .

والثاني : أنه ليس (بتأكيد) ، " فإن قلت : ما معنى تكرار " رَأَيْتُمْ " ؟ قلتُ : ليس بتكرار ؛ إنَّما هو كلام مُستأنَف على تقدير سؤال وقع جواباً له ؛ كأنَّ يعقُوب عليه الصلاة والسلام قال لهُ عند قوله : (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) كيف رأيتها ؟ سائلاً عن حال رؤيتها ، فقال : (رأيتهم لي ساجدين) وهذا أظهر ؛ لأنَّه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس ، فحمله على التَّأسيس أولى "[1].

القاعدة التاسعة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع اليه [2]:

فالأصل في اللفظ حمله على ظاهره ، والاصل في نصوص الشريعة حملها على ظاهرها واخذ الاحكام منها حسب دلالتها الظاهرة ولا يجوز العدول عن الظاهر الا بدليل يقتضي هذا العدول [3]. والسياق لا يفسر بغير ما ظهر من كلام الله وكلام رسوله، و لا يعدل عن ذلك إلا بحجة من كتاب أو سنة .

---

(١)اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض:١٢/١١ .ط١،: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م

(٢) قواعد التفسير، خالد السبت :٨٤٣/٢ ، وينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه : مناع بن خليل القطان:١٣٧

(٣) ينظر : المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي: ٣٨٩/١ ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٣ .

لأن ما يتبادر إلى الذهن من المعاني يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام.

مثال:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣] أي لا يملكون لأنفسهم دفع ضرر ولا جلب نفع ، لدلالة آيات أخرى من كتاب الله – عز وجل – على هذا المعنى، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أعلى درجات التفسير(١). أن هذا المعنى هو الظاهر من لفظ الآية بوضوح وبدون تكلف، وقاعدة: عدم العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل، تؤكد هذا الأمر، وهي قاعدة مهمة عند أئمة التفسير.

القاعدة العاشرة: ادخال الكلام فيما قبله وما بعده اولى من الخروج به عنهما الا بدليل يجب التسليم له (٢):

لا يمكن فصل الكلام عن سياقة ولا يفهم النص بمعزل عن النصوص، وإنما يكتمل معناه بالنظر إلى ما قبله وما بعده . فصرف الكلام عن سياقه الذي ورد لأجله لا يجوز، لكونه مخالفاً لمراد المتكلم، إلا أن يرد دليل صحيح يدل على صرف الكلام عما دل عليه السياق، كأن يثبت في الآية نسخ ((فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوى، فلا تتعذر على أحد))(٣).

مثال:

قوله تعالى :﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة:١٣-١٤]

---

(١)ينظر : اضواء البيان : ١١/٦

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي بن حسين الحربي : ١٢١

(٣)جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن: ٣٥٦/٤.

اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلة من الأولين، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا، كما اختلفوا في الثلتين المذكورتين في قوله: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، فقال بعض أهل العلم: كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة. وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله صلى الله عليه وسلم:(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم)[1] الحديث، والذين قالوا: هم كلهم من هذه الأمة، قالوا: إنما المراد بالقليل، (وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) ، وهم من بعد ذلك إلى قيام الساعة.

وقال بعض العلماء: المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة، فالمراد بالآخرين فيهما هو هذه الأمة... و ظاهر القرآن في هذا المقام: أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية، والآخرين فيهما من هذه الأمة، وأن قوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) في السابقين خاصة، وأن قوله: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) في أصحاب اليمين خاصة...وإنما قلنا: إن هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون (قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) في خصوص السابقين، وكون (ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) في خصوص أصحاب اليمين لأنه واضح من سياق الآيات))[2]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي (٢٦٥٢) : ١٧١/٣

(٢) اضواء البيان : الشنقيطي ٥١٥/٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

وبعد...

فلما كان لهذا البحث من هدف نصبو اليه ، كان لزاماً علينا ان نبين اهمية دلالة السياق في استنباط المعاني، غاية منا في ايصال الفهم السليم لكتاب الله تعالى؛ للمتفكر الكريم، وبيان اهمية السياق القرآني في علم التفسير. ويظهر ذلك جليا من اهتمام المفسرين بدلالة السياق ، ودور دلالة السياق في فهم وضبط وتوجيه المعنى والترجيح ، وقد تلمسنا اهمية دلالة السياق في التفسير ، ونستطيع ان نجمل اهمية دلالة السياق بما يأتي :

- دلالة السياق تحيط بمجمل الخطاب وتبين مدلول اللفظة.
- دلالة السياق تبين مقصد الشرع لأنها تعين على ازاله الاشكال واللبس .
- دلالة السياق تضبط الاجتهاد في التفسير واعمال الرأي.

ومحاولة في المضي قدما لوضع قواعد للتفسير والترجيح بين التفاسير المختلفة ، ووضع مقاييس محدده لسبر اغوار التفسير، وعدم اسنادها للذوق والاجتهاد الشخصي المطلق ، وهذا مما يعنى به علم اصول التفسير من استقراء القواعد في كتب التفسير وتجميع ما تناثر منها فيما يخص السياق والاستفادة من التجربة الاصولية في التقعيد . وقمنا بتحديد تعريف اصطلاحي لدلالة السياق، واعتبارها دليل محفوف بالقرائن ، والتركيز على النظرية السياقية للنص ، وضبطها بالنظر للسياق كموقف تحفة القرائن التي بمجملها تمثل دلالة السياق .

مستعينا بالله اولا وبتجارب من سبقنا ، وذلك لضبط التفسير ووضع قواعد تعين على الولوج لتفسير كتاب الله عز وجل ، وتمنع الافراط والتفريط والجراءة على كتاب الله ، ومن الله التوفيق .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ٩١١هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م**
٢. أحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد، د.ط ، :مطبعة السنة المحمدية ، د.ت
٣. الإحكام في أصول الأحكام ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت: ٤٥٦هـ ، المحقق :الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له :الأستاذ الدكتور إحسان عباس ،د.ط ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت
٤. أسباب نزول القرآن، علي بن احمد الواحدي ٤٦٨هـ ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، ط١، دا الكتب العلمية بيروت – لبنان ،١٤١١هـ_١٩٩١م
٥. الاشارة الى الايجاز، العز بن عبد السلام ، د.ط، د.ت
٦. أصول السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ٤٨٣هـ ، حقق اصوله ابو الوفا الافغاني ، د.ط، دار المعرفة – بيروت، د.ت
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي ١٣٩٣هـ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ
٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٩. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ت٩١١هـ، تحقيق :سيف الدين عبد القادر الكاتبدار، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
١٠ انوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي، دار الفكر – بيروت، د.ت
١١ البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٧٩٤هـ ،المحقق : محمد محمد تامر ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م
١٢ بدائع التفسير الجامع لما فسره الامام ابن القيم الجوزية ، جمع تحقيق: يسري السيد – صالح الشامي ، ط١ ، دار ابن الجوزي السعودية ، ١٤٢٧هـ
١٣ بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ت٧٥١هـ ، تحقيق : علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرة ،د.ت
١٤ البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،د.ط ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١
١٥ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ،ط١، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ١٣٩٢
١٦ بيان الدليل على بطلان التحليل ، ابن تيميه ، تحقيق :حمدي عبد المجيد السلفي ، ١٩٨٨
١٧ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ،محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني

، ت: ٧٤٩هـ،تحقيق :محمد مظهر بقا ، ط :١، دار المدني، السعودية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

١٨ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب مرتضى الزَّبيدي ،تحقيق مجموعة من المحققين د.ط، الناشر دار الهداية ،د.ت.

١٩ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٣٩٣هـ، ،ط١،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٢٠ التسهيل لعلوم التنزيل ،محمد بن احمد بن جزي الكلبي ٧٤١هـ،ضبطة وصححه وخرج آياته :محمد سالم هاشم،ط١،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،١٤١٥هـ–١٩٩٥م

٢١ التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت،١٤٠٥.

٢٢ تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض،شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل،،ط١ ،دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٢٣ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

٢٤ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

٢٥ جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن ، محمد بن جرير الطبري، ٢٢٤ – ٣١٠ هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،ط١ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٢٦ حقيبة مهارات الاتصال، محمد بن عبد العزيز العقيل،د.ط،١٤٣٠هـ

٢٧ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣

٢٨ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٢ – ١٩٩٢

٢٩ صحيح البخاري ،تحقيق محمد زهير ناصر ،ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ

٣٠ علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، ط ٥، عالم الكتب القاهره، ١٩٩٨م

٣١ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م

٣٢ غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي ١٠٩٨هـ، ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥.

٣٣ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (تفسير الشوكاني) ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، ط٤، دار المعرفة، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧

٣٤ قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية حسين بن علي بن حسين الحربي،ط١، دار القاسم، ١٤١٧ – ١٩٩٦

٣٥ قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت ،دار بن عفان، د.ت

٣٦ القواعد الحسان المتعلقة في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن

عبد الله السعدي(١٣٠٧ – ١٣٧٦)، اعتنى به :خالد السبت ،د.ط ،دار ابن الجوزي،د.ت

٣٧ القواعد الفقهية ،يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين،ط١،مكتبة الرشد – الرياض، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م

٣٨ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،د.ت

٣٩ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،ط١،: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٤٠ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ،ط١: دار صادر – بيروت

٤١ مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ،المحقق : أنور الباز – عامر الجزار،ط٢، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٤٢ المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٣

٤٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون،ط٢، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م

٤٤ معجم مقاييس اللغة ،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،المحقق : عبد السلام محمد هارون ،د.ط ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٥ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي

حمدالله ،ط٦، دار الفكر – بيروت ١٩٨٥

٤٦ مفاتيح الغيب ،الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي،ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

٤٧ المقتصد في شرح الايضاح، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: د.كاظم بحر المرجان ، د.ط ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢

الرسائل والاطاريح الجامعية

١. السياق القرآني واثرة في التفسير :دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير بن كثير ،عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨مـ)

٢. السياق القرآني واثره في تفسير المدرسة العقلية ، سعيد الشهراني (اطروحة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٦)

٣. السياق غير اللغوي واثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطيه ، صالح هزله (رسالة ماجستير ،جامعة حمه لخضر الوادي ، الجزائر :٢٠١٥)

٤. دلالة السياق عند الاصوليين ، سعد العنزي (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٨– ٢٠٠٨)

٥. دلالة السياق واثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى علية السلام ، فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، هـ١٤٢٦هـ– م٢٠٠٥مـ)

٦. المتشابه اللفظي في القصص القرآني :دراسة نظرية تطبيقية على ايات قصص نوح وهود وشعيب،، تهاني بنت سالم بن احمد باحويرث (رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧مـ)

المجلات والدوريات

- مجلة الأحياء ، مجله فصلية تصدرها الرابطة المحمدية ، المغرب ،العدد٢٥ ، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م

المواقع الالكترونية

- دلالة السياق واثرها في استنباط الاحكام ،خالد محمد العروسي الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى – مكة المكرمة
http://www.riyadhalelm.com/play-٨٦٨٧.html
- دلالة السياق واثرها في فهم الحديث النبوي : د.عبد المحسن التخيفي، بحوث الندوة الدولية الرابعة: "السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد" بدبي
https://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٦٦٤٨٠&d...